

المحاضرة الثالث عشرة

أبو الطيب المتنبي

يمثل المتنبي اهم شعراء العصر الذهبي للأدب العربي وهو العصر العباسي الذي بلغت به حضارة العرب قمة التطور العمراني والفكري والثقافي، واصبحت بغداد المدينة الاولى على العالم في استقطاب طلاب العلم من ارجاء الارض وبمختلف المجالات العلمية كالطب والفلك والهندسة.

اسمه: هو أبو الطيب أحمد بن الحسين ، ولد سنة(٣٠٣ هـ) بحي كندة في الكوفة ، ولذلك يقال له الكندي،

عائلته : أمه همدانية، فهو يميني أبا وأما، وذكر بعض خصومه أن أباه كان (سقاء) وهي دعوى غير صحيحة كيدا وحسدا للشاعر. ان ابن أباه ألحقه بكتّاب أبناء الأشراف، مما يدل على كونه من ابناء الاشراف، وقد تفتحت موهبته الشعرية مبكرة ،وهو في نحو الثامنة من عمره وكتب الشعر قبل سن التاسعة.

ترحاله :عندما بلغ سنّ التاسعة غزا القرامطة الكوفة وسفكوا الدماء، وفر الناس منها خوفا منهم، وهرب به أبوه الى (بادية السماوة) بين العراق والشام، وبقي فيها نحو عامين أو ثلاثة يتردد في القبائل وينغذى لغتها ،وعاد الى الكوفة في سنته الثانية عشرة .

فأخذ يدرس ما في الكوفة من ثقافات، فقرأ كتب اللغة والنحو، وكتب الفلسفة وكان أبواه قد توفيا، وأكثر القرامطة من غاراتهم على الكوفة، فرأى الفتى أن يبرح مسقط رأسه الى بغداد، وهو لا يكف عن المجاهرة بالثورة على الحكام الفاسدين.
لقبه :

أحس المتنبي في أهل ارض (نخلة) القريبة من (بعلبك) تخاذلا فلا يسارعون معه الى الثأر لكرامتهم المهذرة ،فكتب فيهم قصيدة ملتهبة يقول فيها:

وما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

شبه نفسه بالمسيح وبالنبي صالح (عليهما السلام) سببا في أن يتهمه بعض معاصريه بادعائه النبوة ، وذلك كله غير صحيح . أما لقبه المتنبي فهو الذي لقب نفسه به، أو لعل بعض المعجبين بشعره هم الذين لقبوه به، رمزا لعبقريته الشعرية وأنه يأتي في أشعاره بالمعجز الذي ليس له سابقة

في العشرين من عمره ترك قرية (نخلة) وقاد ثورة ضارية، وفشلت ثورته؛ ويزج به في غياهب السجن لمدة سنتين. وقرر في سنة (٣٣٦) أن يقدم مدائحه لـ (سيف الدولة الحمداني) وكان أميرا لحلب، واستقر حينئذ في نفسه أنه التقى بأهل العرب وحاميهم وفارسهم الذي يرد للعرب دولتهم المفقودة، فوصف المتنبي معاركه مع الروم ، ومدحه بمدائح كثيرة .

بقي المتنبي عنده تسع سنوات، ينظم فيها مدائح وأشعارا في أميره، فكوّن ديوانا شعريا، يعد من أنفس دواوين الشعر العربي، ليس لكثرة قصائده فحسب، بل لروعيتها وابداعه الفني فيها، وقد بلغت نحو أربعين قصيدة واحدة وثلاثين مقطوعة ،

وحسد الشاعر كثيرون على محبة سيف الدولة له، فأخذوا يكيدون له عنده ، وأحس المتنبي بكيدهم، وأن سيف الدولة يستمع إليهم فعاتبه الشاعر بقوله:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي^١ فيم الخصام وأنت الخصم والحكم

ومع استمرار المكائد، رحل الشاعر الى مصر، والتقى فيها بكافور الاخشيدي، على ضفاف النيل، فسمع كافور شعر المتنبي واعجبه، ونثر عليه أمواله، وعده كافور ان يعطيه املاك وارضى في مصر، لكن كافور لم يفي بوعدده، فانتمم المتنبي منه شرّ انتقام بالهزاء، إذ استطاع بخبرته في الصياغة الشعرية أن يوجه له مدائح هي في ظاهرها ثناء، ولكنها في باطنها هجاء لاذع، وأخيرا فقد أحس الشاعر بإخفاق رحلته الى مصر، وارتحل بليل، وهجا كافورا هجاء مرا، بمثل قوله: لا تشر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

واتجه بعد ذلك الى الكوفة مسقط رأسه ، واشترك مع أهلها في الدفاع عنها حين هاجمها القرامطة.

مقتله: كان المتنبي قد هجا ضبة بن يزيد الأسدي بقصيدة شديدة الهجاء شنيعة الألفاظ ، فلما كان المتنبي عائدًا إلى الكوفة من بلاد فارس، في قافلة محملة بالهدايا والاموال مع ابنه محسد وغلame مفلح، لقيه فاتك بن أبي جهل الأسدي، وهو خال ضبة، وكان في جماعة أيضًا. فتقاتل الفريقان. لما ظفر فاتك بالمتنبي أراد الهرب فقال له غلامه : أتهرب وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرد عليه بقوله: قتلتني قتلك الله. وقُتل المتنبي وابنه محسد وغلame مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول غربي بغداد سنة(٣٥٤هـ).

صفات المتنبي

وابرزها الذكاء وسرعة الحفظ والنبوغ في اللغة، والأنفة الشديدة والكبرياء القوية الظاهرة في حب السيادة والترفع عن الدنيا، والصبر، وتكثر في شعره الحكم والأمثال، منها(يا امة ضحكت من جهلها الامم)

شعره وخصائصه الفنية

- شعر المتنبي صورة صادقة لعصره، وحياته، فهو يتحدث عما كان في عصره من ثورات واضطرابات، ويدل على ما كان به من مذاهب وآراء.
- يمثل شعره حياته المضطربة: فذكر فيه طموحه، وعقله وشجاعته، وسخطه ورضاه، وحرصه على المال، و تميز خياله بالقوة، وعباراته رصينة تلائم قوة روحه ويقول الشاعر العراقي فالح الحجية في كتابه في الأدب والفن أن المتنبي يعتبر وبحق شاعر العرب الأكبر عبر العصور.

أغراضه الشعرية

١- المدح : تبلغ قصائده في مدح سيف الدولة ثلث ديوانه أو أكثر، وقد استكبر عن مدح كثير من الولاة والقادة حتى في حادثته. ومن قصائده في مدح سيف الدولة:

وقفت وما في الموت شكُّ لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلّمى هزيمةً ووجهك وضاحٌ، وتغرّك باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

٢- الوصف: أجاد المتنبي وصف المعارك والحروب البارزة التي دارت في عصره، كما أنه وصف الطبيعة وأخلاق الناس، فكان شعره يعتبر سجلاً تاريخياً وقد قال واصفاً طرق منطقة (بوان)، قرب شيراز :

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيْباً فِي المَغَانِي

بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

وَلَكِنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فِيهَا

عَرِيبُ الوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ

٣- الفخر: والمتنبي يفخر بنفسه وشعره:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

و أسمع كلماتي من به صمم

إذا رأيت نيوب الليث بارزة

فلا تظنن أن الليث يبتسم

٤- الحكمة: اشتهر المتنبي بالحكمة وذهب كثير من أقواله مجرى الأمثال لأنه يتصل بالنفس الإنسانية، ويردد نوازعها وآلامها. ومن حكمه ونظراته في الحياة:

إذا غامرت في شرف مرموم

فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير

كطعم الموت في أمر عظيم

شرح قصيدة الحفظ:

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيْباً فِي المَغَانِي

بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

وَلَكِنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فِيهَا

عَرِيبُ الوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ

مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا

سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ

طَبَّتْ فُرْسَانَنَا وَالخَيْلَ حَتَّى

خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمَنْ مِنَ الحِرَانِ

عَدَوْنَا تَنْفُضُ الأَغْصَانُ فِيهَا

عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الجُحَانِ

فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبَتِ الشَّمْسُ عَنِّي

وَجَبَّتْ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي

دَنَانِيرًا تَفْرُ مِنَ البَنَانِ

المعنى: المغاني: جمع مغنى وهو المنزل، المعنى مغاني الشعب طيب في المغاني كلها،
كما أن الربيع طيب في الزمان، والشعب: الطريق في الجبل.

- ملاعب جمع ملعب وجنة جمع جن وترجمان : مترجم. المعنى أن أهلها كأنهم جن، ولم يرد أن الجن تلعب فيها.
- غريب الوجه واللسان معروف، ومعنى (غريب اليد) أن سلاح العربي السيف والرمح، وسلاح ساكني الشعب الحرية والنيزك، ويجوز أن يريد به الخط والكتابة والأول أقوى، فالعرب تخالف العجم في خلقها ولفظها، لأن لحاهم شقر وصهب وكان مروره بالکرد، وأيديهم لا تشبه أيدي العرب لأنها غلاط جعدة. ويجوز أن يريد أفعال اليد أو لأن العرب توصف أيديها بالبساطة، وأيدي العجم توصف بالتجعد والتقبض.
- والحران في الدواب: أن تقف ولا تبرح المكان. يقول هذه المغاني استمالت قلوبنا وقلوب خيلنا بخصبها وطيبها حتى خشيت عليها الحران، وأن تقف بها فلا تبرح عنها رغم أن خيلنا كريمة لا يعترها هذا الداء.
- الجمان خرز من فضة يشبه اللآلئ يريد أنه إذا سار في شجر هذا المكان وقع من خلل الأغصان على أعراف خيله مثل الجمان من ضوء الشمس فكأن الأغصان تنفضه على أعرافها،
- والمعنى أنه كان يسير في ظل الأغصان وإنما تحجب عنه حر الشمس وتلقى عليه من الضياء ما يكفيه.
- قال أحمد بن يحيى الشرق الشمس يقال طلع الشرق ولا غاب الشرق شبه ما يتساقط عليه من ضوء الشمس بدنانير لا يمكن مسها باليد